أثر القراءات القرآنية في إتقان علوم العربية

م.م. سكنة جبر حسين
جامعة بغداد ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية
د. عبد الغني بن محمد دين د. إبراهيم محمد أحمد الدسوقي د. محمد عزيز الرحمن بن زابيدين
قسم اللغة العربية، كلية أصول الدين وعلوم القرآن واللغة العربية
جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية – ماليزيا

ملخص البحث:

إنَّ كثيرا من الطلبة الناطقين بغير العربية يجدون صعوبة في إتقان علم النحو أو الصرف أو البلاغة؛ ذلك لأنَّ المنهج المتبع في تدريس تلك العلوم يعتمد الأمثلة الجامدة وكذلك عدم ممارسة تلك القواعد في حياتهم اليومية، فنسعى في هذه الدراسة ربط العلوم العربية بالقراءات القرآنية وفهم معانيها لأنها ستجعل معرفة القواعد النحوية أو الصرفية أو البلاغة ذات قيمة كبيرة وإفادة عالية لطالب العلم؛ لذلك تهدف الدراسة أن تثبت أن القراءات القرآنية لها أثر فعَّال في فهم القواعد وتطبيقها على الآيات القرآنية الأخر، وسيسلك البحث المنهج الاستقرائي التحليلي لمساعدة الطلبة الناطقين بغير العربية على فهم القراءات المتنوعة لأنها تؤدي معانٍ متعددة، وبأوجه متعددة من الإعراب في النحو، ومن النتائج المتوقعة أن تنجح هذه الطريقة في إفادة الطلبة في استيعاب القواعد النحوية والقدرة على تطبيقها على الآيات القرآنية ذات القراءات المتنوعة، وفهم الكثير من معاني الكلمات .

الكلمات المفتاحية : القراءات القرآنية، العلوم العربية، القراءات الشاذة، التوجيهات، الدراسات اللغوية.

The impact of Qur'anic readings in understanding Arabic sciences

Asst. Inst. Sikna Jebur Hussein
College of Education, Ibn Rushd, University of Baghdad,
Dr. Abdul Ghani bin Muhammad Dean
Dr. Ibrahim Muhammad Ahmed Al-Desouki
Dr. Muhammad Aziz Rahman bin Zabidin
Department of Arabic Language - Faculty of Fundamentals of Religion, Qur'anic Sciences and the Arabic Language
Sultan Abdul Halim Muazzam Shah International Islamic University – Malaysia

Abstract

It might be challenging for many students who do not understand Arabic to grasp morphology, rhetoric, or grammar. This is due to the fact that the way these disciplines are taught relies on strict examples and students who don't apply these principles in their everyday life. The goal of this study is to connect the Arabic sciences to Qur'anic readings and their interpretations since doing so would enable students of knowledge to greatly profit from their knowledge of morphology, rhetoric, and grammar norms. The research thus seeks to demonstrate the efficacy of Qur'anic readings in helping people comprehend the principles and apply them to other Qur'anic passages. In order to assist non-Arabic speaking students in comprehending the numerous readings and how they lead to diverse meanings and components of parsing in grammar, the study will use an inductive and analytical approach. It is anticipated that it will be successful. With this approach, students get a grasp of grammatical norms and can apply them to Qur'anic passages with different interpretations. They also gain an understanding of word meanings.

Keywords: (Qur'anic Readings, Arabic Sciences, Irregular Readings, Guidelines - Linguistic Studies).

مقدمة:

تُعدُّ القراءات القرآنية من العلوم الأساسية والمؤثرة في تفسير القرآن وفي معرفة الأحكام واستنباطها، ومعرفة الإعراب والمعاني المختلفة منها ، بل تُعدُّ من أشرف العلوم لاتصالها الوثيق ببيان معاني القرآن الكريم وتفسيرها، وبيان أسرارها، وهو علم ضروري لجميع التخصصات الدينية والعربية كالتفسير والفقه والأحكام الشرعية، كما يُعدُّ ضروريا في المقام الأول لمتعلمي اللغة العربية: نحوها وصرفها وبلاغتها، وعلى كل المستويات المتوسطة والمتقدمة. يقول الدكتور أحمد مختار: "ألفاظ القرآن الكريم هي لبّ كلام العرب، وزبدته وواسطته، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء، وإليها مفزع حذاق الشُّعراء والبلغاء، وما عداها كالقشور بالإضافة إلى أطايب الثَّمر" (مختار، 1988، الصفحات 17-18)

ولقد تعارف الناس على أنَّ نشأة القراءات القرآنية ارتبطت مع نزول القرآن. وتطلَّب أن نبين أمورا مهمة تتعلق بها وهي: تعريف القرآن والقراءات والفرق بينهما، ثم بيان مراحل جمع القرآن، ثم ماهية القراءات الشاذة وكيفية نشوئها، ثم اختيار نماذج من القرآن تبين أثر القراءات في إتقان العلوم العربية. علما أن بعضا منها قد وضَّحه علماء أجلاء في علوم الشريعة وأصول الدين واللغة العربية في بحوث قيِّمة ومُوَسَّعة، ولكن رغب البحث في أن يكون هذا العلم في متناول الباحثين بصورة ميسرة وسهلة ومختصرة ، لذا أعدت هذه المقالة . نسأل الله العون والتوفيق والسداد والهداية .

تعريف القرآن والقراءات:

تعرض الكثير من المهتمين بالقراءات القرآنية بتعريف القرآن والقراءات المتنوعة متواترها وشاذها، وسيعرض البحث ملخصاً لما ذكروه (العسقلاني، 1972، صفحة 17/1) (الزرقاني، 1998، صفحة 489/1)

القرآن لغة هو مصدر مشتق من القراءة، أي قرأ قراءة وقرآنا، وهو مصدر من قول القائل: قرأْتُ، كقولك: "الغُفران" من "غفر الله لك" (الطبري 1902م، 94/1 – 95 ، 97)، وضبط العلماء رحمهم الله القرآن تمييزا عن غيره بقولهم : "القرآن كلام اللهِ المنزَّل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام، المنقول إلينا تواتراً، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه، المجموع بين دفتي المصحف المفتتح بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس" (المقدسي، 1981، الصفحات 60-61)

أما القراءة القرآنية فمن التعاريف الجيدة لها ما قاله العلامة العسقلاني: "علم يُعرَف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النُّطْقِ والإبْدالِ من حيث السماع" (العسقلاني، 1972، صفحة 170/1)

والقراءات المروية بالتواتر سبب من أسباب حفظ الله تعالى للقرآن الكريم، إذ لو كان على حرف واحد وترك الألسنة المختلفة فقد يدفعها ذلك إلى التحريف والتغيير ، فكانت القراءات المتواترة مُحَقِّقةً للصيانة والحفظ (الطويل، 1985، صفحة 18/1)

وتشير المصادر إلى أن أبا بكر هو أول من أمر بجمع القرآن في مصحف واحد (البخاري، 1981، صفحة 1720/4) (ابن كثير، 1996، صفحة 19) ، وكذلك عثمان بن عفان الذي جمع القرآن على مصحف واحد تجنباً للخلاف، وأمر بنسخ مصحف الصديق رضي الله عنه، وأرسل لجميع الأمصار نسخة وأبقى في المدينة نسخة، وأحرق ما سواها (البغوي، 1993، صفحة 523/4) (القرطبي، 1965، صفحة 40/1) (السيوطي، 1985، الصفحات 171/1-172)

وقد ترجح عند المهتمين بعلم القراءات أن القراءات السبع تختلف عن الأحرف السبعة، فالأحرف السبعة هي القراءات التي أقرأها النبي صلى الله عليه وسلم صحابته عند نزول القرآن وهي الموجودة في المصحف الذي أمر بجمعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهذا الأمر قد أكده مكي بن أبي طالب (القيسي، 1985، صفحة 38)

أما القراءات السبع فهي التي جاءت بعد جمع الخليفة عثمان رضي الله عنه القرآن على مصحف واحد، فنقل القراء عمن قبلهم من الضابطين الثقات الأوجه المختلفة للقراءة، بالرواية الصحيحة المسندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والتي توافق أحد الأوجه العربية، وتوافق الرسم العثماني (ابن الجزري، 1980، صفحة 9/1) فحصرها مجموعة من المهتمين بالقراءات القرآنية، وصنفوا فيها ، كالإمام ابن مجاهد (245- 324هـ)، الذي ألف كتابه "السبعة في القراءات" الذي ظهر على الوجود سنة (300هـ) تقريباً .

ولم تقتصر القراءات الصحيحة المروية بالسند المتصل على السبع فقط، بل هي أكثر من ذلك (ابن الجزري ، 1991، صفحة 538/1) (ابن مجاهد، 1980، صفحة 14) ، فضلا عن القراءات الشاذة، التي لم تنقل بالسند المتواتر، ولم تنتشر وتستفيض بين

القراء، ولم يتلقوها بالقبول، ولو وافقت الأوجه العربية، أو أنها نقلت بالسند ولكنها خالفت الرسم العثماني، مع أنها قراءات كانت موجودة قبل ظهور المصحف الإمام الذي أقره عثمان رضي الله عنه (القيسي، 1985، صفحة 127)، بل شدد الإمام ابن الجزري على الآخذ بها، ووصفه بأنه مرتكب لكبيرة من الكبائر (ابن الجزري، 1980، صفحة 15/1)

أثر القراءات في تعليم اللغة العربية وإتقانها:

المتأمل في القراءات القرآنية المختلفة وما يحوم حولها من التوجيهات والتفسيرات والأقوال المتعددة، وما تؤدي إليه من المعاني المتفقة أو المختلفة، سيرى أنّ لها تعلقاً قوياً بالعلوم اللغوية المختلفة، نحواً وصرفاً وأصواتاً ودلالة، وكل ذلك يصب في مصلحة توضيح آيات القرآن الكريم وتفسير ألفاظه وجمله وتراكيبه، فيعين على الفهم الصحيح الكامل لكلام الله تعالى، ويسهم في الاستنباط الصحيح للأحكام الشرعية التعبدية والعقدية.

وتُعدُّ القراءات القرآنية من الأمور التي تحمل في طياتها الأسرار الدقيقة في فهم الآيات القرآنية، ففي الدراسات العربية نجد هناك التوجيهات اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية للقراءات القرآنية، وهي أمور تجعل طالب العربية يكتسب العلوم العربية من القراءات القرآنية، فضلا عن العلوم الدينية الأخرى، كالتفسير واستنباط الأحكام الشرعية، مما يجعل دراسة القراءات القرآنية مكمّلة لمسيرة طالب العربية، فيزداد متانة وقوة وإتقاناً وتمكناً في تخصصه، لأنها تتيح له تطبيق قواعد العلوم العربية التي درسها، ووصفها وتحليلها ، وترجيح الأقوال المتعددة فيها، وكلها مكاسب كبيرة تضاف إلى رصيد دارس العربية، وقد قيل: "إنَّ لغة القرآن أصدق المقاييس للبحث في لغة العرب" (ولفنسون، 1959، صفحة 226)

وأشار عبدالصبور شاهين إلى أن القراءات الشاذة تحوي ثروة لغوية هائلة تفيد المتعلم للغة العربية، وتكسبه مهارات جيدة لاستيعاب المسائل اللغوية، وتنمي فيه ملكة التدقيق في الأصول اللغوية للألفاظ، وعلاقتها بمعنى القراءة القرآنية، وتوافقها مع سياق الآية (شاهين، 2009، الصفحات 7-8)

وبيّن علماء العربية وعلماء أصول الدين والشريعة ذلك، سواء القدماء أو المتأخرون، وألفوا كتبًا كثيرة، وبحوثاً علمية منشورة في المجلات العلمية المحكمة، والتي ستفيد طلاب العلم أيما استفادة إن قُرِرت عليهم في المراحل العليا في الدراسات اللغوية .

وهذا يقودنا إلى أن نقول بأهميَّة دراسة القراءات القرآنية دراسة لغويةً ونحويةً وصرفيةً ودلالية وبلاغيةً لدى طالب العربية، وأن نجعلها منطلقاً لدراسة القواعد اللغوية لإظهار معاني الآيات القرآنية، لاشتمالها على القضايا الدلالية والصوتية والنظمية والأسلوبية والاصطلاحية والفكرية، والتي تتعلق باللغة وأوجه استعمالها، وبالنص لمحاولة تحقيق رسالته، وما يندرج في ذلك من المسائل الفقهية والعقدية المستنبطة من الآيات القرآنية وما فيها من القراءات.

فيرى البحث أنَّ تلك الدراسات المتعلقة بالقراءات القرآنية ستُسهم في رفع المستوى العلمي في العلوم العربية، من حيث وجود العائد المعنوي الذي تؤديه التوجيهات القرآنية في علم الصرف، وما تؤديه من المعاني المختلفة للتراكيب النحوية، والمعاني المتنوعة والمتعددة في معنى الكلمة والتراكيب في دراسات أصول اللغة والدراسات البلاغية.

إن تعدُّد القراءات في الآية الواحدة يؤدي إلى تعدُّد المعاني المستفادة من هذه الآية، ويوسع دائرة فهم المؤمن لمراد الله تعالى من كلامه في الموضع الواحد، وهذا يعد شكلاً من أشكال الإيجاز الذي يفضي إلى كمال الإعجاز، إذ أغنى تنوُّع القراءات عن تعدد الآيات، فنجد اللفظ القليل يحتمل المعاني الكثيرة المتنوعة والمهمة، وفي هذا إثراء للمعنى وإضاءات إضافية حول الآية، فتتير لنا جوانب الدلالة وتُوصِل إلى فهم تكاملي للآية لا يترك مجالاً لخلل أو اضطراب.

وهذه الدراسات وتلك المعاني والإضاءات للنماذج المختلفة التي تنبثق منها العلوم العربية ستفيد الدارسين في المرحلة الجامعية قبل مرحلة التخصص في الماجستير أو الدكتوراه، في دراسة تلك العلوم مجتمعة في الآية الواحدة؛ أي معرفة التوجيهات النحوية أو الصرفية أو اللغوية والصوتية أوالمعاني والأوجه المتعددة التي تدلل عليها الدراسات البلاغية ، وسنضرب أمثلة لها فيما يأتي من البحث، مع التعرض لها بشيء من التعليق فيما يتعلق بإظهار التعلق الوثيق للقراءات القرآنية بالدراسات اللغوية.

قال الله تعالى: ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾[البقرة: 177]

قرأ حمزة وحفص بنصب "البر"، وقرأ الباقون برفعه. فنستطيع أن نفهم القراءتين من الجهة البلاغية إذا نظرنا في سبب النزول، فقد قال قتادة والربيع ومقاتل والأعرابي: إنها نزلت في اليهود حينما اعترضوا على المسلمين يوم أن حُوّلت القبلة. وقال ابن عباس

وعطاء والضحاك وجماعة: إنها نزلت في المؤمنين؛ فقد سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ عن البر فنزلت. ولا ريب أن السبب الأول يتفق اتفاقاً تامّاً ويتسق اتساقاً كاملاً مع قراءة النصب؛ لأن نظم الآية على هذا يكون هكذا: ليست توليتكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر، فـ (أن) والفعل موّل بمصدر هو اسم ليس. أما السبب الآخر فهو منسجم مع القراءة الثانية وهو أن يكون البر مبتدأ، والمعنى: ليس البر توليتكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب، وهذا يتفق مع السؤال عن البر. ولكي نقرب هذا المعنى يجمل أن نتصور الفرق بين قولنا: أخو زيد أحمد، وقولنا: أحمد أخو زيد. فأخو زيد في الجملة الأولى هو المبتدأ، وأحمد هو المبتدأ في الجملة الثانية. وبين الجملتين فرق شاسع؛ لأن المبتدأ لا بد أن يكون معروفاً للمخاطَب، ففي الجملة الأولى يَعْرِف المخاطب أخا زيد، ولكنه لا يعرف أنه أحمد، وفي الجملة الثانية يعرف المخاطب أحمد، ولكنه لا يعرف أنه أخو زيد. فتولية المشرق والمغرب كانت هي الأساس عند أولئك الذين أثاروا ضجة على المسلمين يوم أن تحولت القبلة، فكانت هذه التولية عندهم هي الجوهر والمرتكز، فناسب أن تكون مبتدأً، فجعلت اسم ليس. أما في السبب الثاني فالبر هو الركيزة وهو المسؤول عنه فناسب أن يكون هو المبتدأ. هكذا أعطت كلٌّ من القراءتين معنى بيانيّاً منسجماً مع ما قيل في الآية من أسباب النزول. (فضل، 1987)

ثانيا: قول الله تعالى : ﴿ **وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ**﴾ [سورة الصف، آية8]، فقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالإضافة، وقرأ الباقون بالتنوين ونصب (نوره).

وربما يظن لأول وهلة أن القراءتين شيء واحد، إلا أن من يدرك أسرار العربية في إحْكَامها وأَحْكَامها ودقتها سيتطلع إلى أثر هذه الحركات في إيضاح الفرق لمعاني الآيات الناتج عن الفرق بين معاني الألفاظ.

إن من روعة العربية أنها تفرق بين المعنيين بالحركة تارة فيقولون: ضُحْكَة وضُحَكَة، فبإسكان الحاء هو الذي يُضحَك منه, وبفتحها هو الذي يَضحك من غيره. وقد يكون التفريق بحرف من حروف المعاني كتفريقهم بين (اللام) و(إلى)، فشتّان بين قولنا: أحمد أحبّ لأبيه. و: أحمد أحبّ إلى أبيه. قال تعالى: ﴿**إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ**﴾ [يوسف: 8]، وقد يكون التفريق بحرف من حروف المعجم إذ فرّقوا بين النضج والنضح، والقبص والقبض، وقد يكون التفريق بالتنوين، يقال: هذا ضاربُ زيدٍ. وضاربٌ زيداً، والأول يفيد تحقق الضرب ووقوعه. قال ابن قتيبة: "ولها الإعراب الذي جعله الله وشياً لكلامها وحلية لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين المختلفين كالفاعل والمفعول لا يفرق بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما بالإعراب، ولو أن قائلاً قال: هذا قاتلٌ أخي –بالتنوين–، وقال آخر: هذا قاتلُ أخي –بالإضافة–؛ لدلّ التنوين على أنه لم يقتله، ودلّ حذف التنوين على أنه قد قتله" (ابن قتيبة، 1973، صفحة 18/1): وعلى هذا يجب أن نفهم الآية الكريمة، فقراءة الإضافة ترشد إلى أن الله تبارك وتعالى قد أتم نوره، وقد يكون هذا الإتمام بإكمال الدين، وقد يكون بنصر أهله والتمكين لهم ودحر أعدائهم.

–إذن– قراءة الإضافة فيها المنة الإلهية على نبيّه والمؤمنين معه بما أكرمهم الله به من إتمام هذا النور، ولكن القرآن الكريم ليس لهذه الفئة وحدها، بل هو للمسلمين جميعاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإذا كانت قراءة الإضافة فيها منّة إلهية، فإن قراءة التنوين فيها عِدَة ربانية، ووعْدُ الله لا يتخلَّف، ففيها طمأنينة للمؤمنين عندما تَدْلَهِمُّ ظلمة، ويُوحش ليل، بأن حالاً مثل هذا لن يدوم أبداً، ولا بد أن يتم الله نوره كما أتمه من قبل ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: 55] (فضل، 1987)

ويمكن أن نرجح القراءة الأولى بالإضافة أو نقوّيها؛ لما فيها من التأكيد في الوعد، فوعد الله تعالى لا يُخلف، وأمره واقع لامحاله، ففي هذا الترجيح من طمأنة للمسلمين، بخلاف القراءة الثانية التي فيها تعليق لهم بالله بأن هذا الأمر سيقع، إلا أنه قد يعتلجهم الخوف والقلق من هذا الوعد غير الجازم، فإن قال لك قائل: أعطيتك 100 دينار ولكن انتظرني غداً، ليس كمن يقول لك: سأعطيك 100 دينار، ولكن انتظرني غداً، فالأول العطاء جازم، والآخذ سيطمئن، أما الثاني فالعطاء محتمل، والآخذ سيكون في قلق وحيرة من حصوله على المبلغ أو لا.

مما سبق يتضح لنا أن المهتم بالقراءات القرآنية سيتكسب عدة مهارات فيما يتعلق بدراسة التراكيب اللغوية والجمل، كالتعرف على الأقوال والتوجيهات اللغوية المختلفة للقراءة، والاطلاع على الأقوال والمذاهب النحوية المتنوعة في المسألة، والأدلة العلمية لكل قول، كما يكتسب ملكة التمييز بين الأقوال؛ قويها من ضعيفها، ثم يحاول الترجيح بينها عند ظهور قوة له في بعض الأدلة والآراء.

أما التوجيه الصرفي فنحو قول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ﴾ [البقرة: 51]

قرأ أبو عمرو بن العلاء البصري: (وعدنا) بدون ألف، وقرأها الباقون بألف (واعدنا).

فقراءة الجمهور فيها معنى المفاعلة، فالمواعدة تكون بين اثنين، إذ هناك وعد من الله لموسى بإعطائه التوراة، ووعد من موسى بالتنفيذ والقبول والالتزام والحضور (الزجاج، 1988، صفحة 133/1)، أما قراءة أبي عمرو فإنها تدل على أن الوعد كان من الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام، فهو من جهة واحدة، فإذا كانت قراءة الجمهور دالة على ما كان يطمح إليه كليم الله تبارك وتعالى من فرحة اللقاء، ونور المؤانسة التي ذاق حلاوتها من قبل وهو عائد من مدين حينما خوطب: (إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ) طه/12)، وحين سئل: (وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ) طه/17 فأطال القول:(قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ) [طه: 18]، فقراءة الجمهور تدل على ما سبق بيانه وقراءة أبي عمرو توحي بالإكرام والتكليف لموسى (فضل، 1987)

وقد رجح أبو عبيد القاسم بن سلام قراءة أبو عمرو بغير ألف، بحجة أن المواعدة التي تكون بين طرفين لا تكون إلا من البشر مع بعضهم، ورد أبو حيان هذا القول بأن القراءة القرآنية إن وردت عن طريق التواتر فلا وجه لردها، وذكر بأن المواعدة قد تكون هنا بمعنى الوعد، فالقراءة متفقة في المعنى (أبو حيان، 2000، صفحة 321/1)

أما الزجاج فلم يرَ الترجيح بين القولين، وفسر المواعدة بما قدمناه من كونها من الله باللقاء والكلام وإعطاء التوراة، ومن موسى عليه السلام بالقبول والطاعة والانقياد، فحصلت المواعدة من الطرفين. (الزجاج، 1988، صفحة 133/1)

والمهتم بالقراءات القرآنية سيقف في مثل هذه القراءات السبعة على توجيهات أهل اللغة ويعرف أدلتهم وترجيحاتهم، وما بنوا عليه من دلائل الترجيح والمفاضلة، وله أن يختار ويرجح القول المناسب الذي يراه أسعد بالدليل، المبني على الأصول والقواعد السليمة للترجيح، فتنمو عنده مهارة التدقيق والنظر والترجيح والتدليل، كما تنمو عنده مهارة الاطلاع على الأقوال اللغوية المأثورة في القراءة القرآنية، كما يكتسب مهارة التوثيق ونسبة الأقوال إلى أوائل القائلين بها قبل ذكر المتأخرين.

أما التوجيه اللغوي فمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ ﴾ [التكوير: 19-24].

فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء (بظنين)، ومعناه (بمتهم) بلغة هذيل (ابن الهائم، 2003، صفحة 338)، وقال الفراء: بضعيف (الفراء، 243/3)، وقرأ الباقون بالضاد ومعناه ببخيل (أبو حيان، 2000، صفحة 419/10). فقراءة الظاء منسجمة مع الوصف السابق وهو قوله سبحانه (أمين)، أما قراءة الضاد فمعناها أنه ليس بخيلاً بما أمر بتبليغه فلا يكتم ما عنده تلقاء أجر يتلقاه، كما يفعل الكهّان. وعلى هذا فأن هذه القراءة منسجمة مع قوله: (وما صاحبكم بمجنون)؛ فإن نفي الكهانة والجنون جاء في مثل قوله سبحانه: (فذكّر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون). وهكذا تتفق القراءة الأولى مع ما قبلها (وما صاحبكم بمجنون)، وتنسجم الثانية مع ما بعدها (ولقد رآه بالأفق المبين).

وتفسير الظنين بالضعيف فيه إبعاد لتهمة الضعف عن النبي صلى الله عليه وسلم، فكفار قريش كذبوا النبي واتهموه بالجنون والسحر، ولم يتهموه بالبخل، فناسب هنا نفي الضعف عنه (ابن عطية، 2002، صفحة 444/5)

وهناك أمر آخر يظهر من اختلاف القراءتين وهو أن هذه الآيات الكريمة اختلف فيها المفسرون، فبعضهم ذهب إلى أن المقصود جبريل عليه السلام، وآخرون قالوا إن المقصود هو النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا كان الأمر كذلك وكان كلٌّ من المعنيين صحيحاً، فإن الذي يظهر أن قراءة الضاد ترجح أنه النبي صلى الله عليه وسلم، فالنبي ليس بخيلاً بوحي الله، كما هو شأن الكهان الذين يبخلون بتخرصات الشياطين، وقراءة الظاء ترجح أنه جبريل عليه السلام الذي اتهمه اليهود، كما حكى لنا القرآن المدني فيما بعد: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧ ﴾ [سورة البقرة، آية 97]. (فضل، 1987)

ويمكن أن يقال بأن ترجيح قراءة (ظنين) بالظاء بنفي التهمة عن جبريل عليه السلام؛ لقرب ذكر الموصوف من الوصف.

فنخلص من التوجيهات والدراسات اللغوية الآنفة في هذه الآية أن الدارس للقراءات القرآنية سيجني الكثير من المهارات والملكات اللغوية العديدة، من حيث الاطلاع على أقوال اللغويين في توجيه القراءة القرآنية من الناحية اللغوية، وربطها بالمعنى التفسيري للآية، والاطلاع على اللهجات المتعددة في اللفظة القرآنية، ومعناها ودلالاتها سواء المتفقة أم المختلفة، ومحاولة الترجيح بين الأقوال المختلفة

فيما يتعلق بالجانب اللغوي، وربط هذا الترجيح بمعنى الآية ومرادها بحسب أقوال المختصين من المفسرين، مع إمكان الإتيان بالأوجه البلاغية التي تدل عليها القراءات، وربطها بالفنون والقواعد البلاغية بحسب تقعيد المختصين لها قديماً وحديثاً.

كما تعد الدراسات الصوتية ذات أهمية كبيرة ومكانة عالية لتوضيح الصرف والنحو والبلاغة، لأنَّ اللغة بدايتها السماع، ويتدخل هذا العلم في إتقان العلوم العربية لأنه يبدأ في توضيح مخارج الحروف وتبادل الحروف في اللهجات العربية، مما ينتج عنه فهم لمعنى الكلمة ثم الكلام عند سلامة التركيب، ثم فهم المراد من الكلام والمعاني البعيدة أو المحتملة أو المجازية من خلال الدراسات البلاغية وعلوم المعاني.

مع العلم أن الدراسات الصوتية قد اختص بها الدارسون لعلوم القرآن من خلال دارسة علم التجويد، وما يتعلق بها من دراسات مخارج الحروف، وهو بلا شك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدراسة العربية، وأن دراسة القراءات القرآنية ستكون نقطة البداية لعودة دارسات علم التجويد إلى أولويات اهتمامات دارسي العربية في علم الأصوات، ليستقيم منهج الدارسة في إطار الدارسة اللغوية.

زد على ذلك أن الراغب في الترجيح والتفضيل بين القراءات باستخدام الأصول والقواعد اللغوية؛سيجد الباب واسعاً أمامه، وخاصة حينما يجد بين يديه ذلك الكم الهائل والزاخر من كتب التفسير وعلوم القرآن وكتب توجيه القراءات القرآنية، فهذا الكم من المؤلفات المتاحة لنا في هذا العصر لم يكن متاحاً في القرون والعصور الماضية، ولا يخفى أن بعض المذاهب اللغوية قد تعصب لأقوالها بعض المنتمين لها، فأثر ذلك في توجيههم للقراءات القرآنية، كما حصل في قراءة تحقيق الهمزتين إن اجتمعتا في بداية الكلمة، إذ وصفت بالضعف والشذوذ، مع أن القارئين بها قراء كبار؛ كعاصم وغيره من القراء العشر، إلا أنه عند التحقيق والتمحيص تبين أن الانحياز للمذهب البصري هو الذي دعاهم إلى هذا الحكم (شاهين، 2009، صفحة 7) (الحمد، 2006، الصفحات 34-36) (الخطيب، 2001، صفحة 67)

وسيلحظ المتمعّن في أقوال أهل العلم في توجيه القراءات القرآنية أن المشتغلين بها من كبار علماء اللغة ، الذين دونوا اللغة العربية، وقعدوا وأصّلوا لها، وفرعوا في مسائلها؛ أمثال الخليل بن أحمد، وسيبويه، والفراء والزجاج والأخفش والسيرافي وابن فارس والمبرد وابن السراج وابن الأنباري وابن جني وأبي علي الفارسي وغيرهم، وسيلحظ كذلك أن مجموعة من قرّاء القراءات القرآنية المتواترة وغيرها هم اللغويون الذين اشتغلوا باللغة تقعيداً وتأصيلاً وتفريعاً؛ مثل أبي عمرو بن العلاء والكسائي، فلم يتمكنوا من القراءات حتى تمكنوا من اللغة، بل كانوا أعلاماً لها، وهذا يدفعنا إلى القول بأهمية ربط دراسة القراءات القرآنية بدراسة العلوم العربية المختلفة، وأن بينها ارتباطاً وثيقاً لا ينفك، فأهل القرآن والقراءات هم أهل اللغة.

الخاتمة :

بعد رحلة البحث الممتعة توصلنا بحمد الله وفضله إلى الخاتمة ,و قد تبين لنا من خلال هذه الدراسة عدة نتائج , منها :

– تعد الدراسات الصوتية ذات أهمية كبيرة ومكانة عالية في توضيح الصرف والنحو والبلاغة، لأنَّ اللغة بدايتها السماع .

– أهمِيَّة دراسة القراءات القرآنية دراسة لغويةً ونحويةً وصرفيةً ودلالية وبلاغيةً لدى طالب العربية، و جعلها منطلقاً لدراسة القواعد اللغوية لإظهار معاني الآيات القرآنية .

– إن تعدُّد القراءات في الآية الواحدة يؤدي إلى تعدُّد المعاني المستفادة من هذه الآية، الذي يفضي إلى كمال الإعجاز، فنجد اللفظ القليل يحتمل المعاني الكثيرة المتنوعة والمهمة، وفي هذا إثراء للمعنى وإضاءات إضافية للآية .

– أهمية ربط دراسة القراءات القرآنية بدراسة علوم العربية المختلفة لما بينهما من ارتباط وثيق .

ويقترح البحث أن تُجعل دراسة القراءات القرآنية من المواد الأساسية في مرحلة الإجازة العالية والتخصص في العلوم العربية، حتى يتَّضح مدى أهمية القراءات القرآنية لدارسي العربية، وتظل قلوب أهل العربية وأذهانهم متعلقة دائماً بالقرآن الكريم وما يتعلق بها من الدراسات والعلوم، ويتحقق لها التطبيق في الحياة العلمية والعملية.

و بعد فتعد هذه أهم النتائج التي توصل إليها البحث , راجين من الله تعالى أن يكون ذا فائدة لطلبة العلم و الباحثين و محبي اللغة العربية.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر

ابن الجزري، محمد بن محمد العمري . (1991). *غاية النهاية في طبقات القراء* (المجلد 1). الرياض : ج –برجشتراسر.

ابن الجزري، محمد بن محمد العمري. (1980). *منجد المقرئين*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الهائم، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي. (2003). *التبيان في تفسير غريب القرآن* (المجلد 1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن. (2002). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* (المجلد 1). (عبد السلام عبد الشافي محمد، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (1973). *تأويل مشكل القرآن* (المجلد 2). (سيد أحمد صفر، المحرر) القاهرة: دار التراث.

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل. (1996). *فضائل القرآن* (المجلد 1). بيروت: دار الأندلس.

ابن مجاهد، أحمد بن موسى. (1980). *السبعة في القراءات* (المجلد 2). (شوقي ضيف، المحرر) مصر: دار المعارف.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف. (2000). *البحر المحيط في التفسير*. (صدقي محمد جميل، المحرر) بيروت: دار الفكر.

البخاري، محمد بن إسماعي. (1981). *صحيح البخاري (الجامع الصحيح)*. (محمد عبد الباقي، المحرر) المكتبة السلفية.

البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود. (1993). *شرح السنة* (المجلد 2). (شعيب الأرناؤوط، المحرر) المكتب الإسلامي.

الحمد، غانم قدوري. (2006). *ظواهر لغوية في القراءات القرآنية* (المجلد 1). الأردن: دار عمائر للنشر والتوزيع.

الخطيب، عبداللطيف محمد. (2001). *ضاد العربية في القراءات القرآنية* (المجلد 1). مصر: مطبعة عالم الكتب.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل. (1988). *معاني القرآن وإعرابه* (المجلد 1). (عبد الجليل عبده شلبي، المحرر) بيروت: مطبعة عالم الكتب.

الزرقاني، عبد العظيم. (1998). *مناهل العرفان في علوم القرآن*. (بديع اللحام، المحرر) دار قتيبة.

السيوطي، جلال الدين. (1985). *الإتقان في علوم القرآن*. (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) القاهرة : دار التراث.

شاهين، عبدالصبور . (2009). *القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الطويل، السيد رزق. (1985). *علوم القراءات مدخل* (المجلد 1). مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية.

العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن محمد. (1972). *لطائف الإشارات لفنون القراءات*. (عامر السيد عثمان، المحرر) مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . لجنة إحياء التراث الإسلامي.

فضل، عباس حسن. (1987). القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية. *مجلة دراسات الجامعة الأردنية، 14*.

القرطبي، محمد بن أحمد. (1965). *الجامع لأحكام القرآن* (المجلد 2). دار الكتاب العربي.

القيسي، مكي بن أبي طالب. (1985). *الإبانة عن معاني القراءات* (المجلد 3). (عبد الفتاح شلبي، المحرر) المكتبة الفيصلية.

مختار، أحمد. (1988). *البحث اللُّغويّ عند العرب*. القاهرة: عالم الكتب.

المقدسي، عبد الله بن أحمد ابن قدامة. (1981). *روضة الناظر وجنة المناظر* (المجلد 1). (سيف الدين الكاتب، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

ولفنسون، إسرائيل. (1959). *تاريخ اللُّغات السَّاميّة*. القاهرة: الاعتماد.

Arabic Translated References:

Abu Hayyan, Muhammad bin Youssef bin Ali bin Youssef. (2000). *Ocean sea in interpretation.* (Sidqi Muhammad Jamil, editor) Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Asqalani, Shihab al-Din Ahmed bin Muhammad. (1972). *Categories of references to the arts of readings*. (Amer Al-Sayyid Othman, editor) Egypt: Supreme Council for Islamic Affairs - Committee for the Revival of Islamic Heritage.

Al-Baghawi, Abu Muhammad Al-Hussein bin Masoud. (1993). *Explanation of the Sunnah* (Volume 2). (Shuaib Al-Arnaout, editor) The Islamic Office.

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismaili. (1981). *Sahih Al-Bukhari* (Al-Jami' Al-Sahih). (Muhammad Abdel Baqi, editor) The Salafi Library.

Al-Khatib, Abdul Latif Muhammad. (2001). *Anti-Arabic in Qur'anic Readings* (Volume 1). Egypt: World of Books Press.

Al-Maqdisi, Abdullah bin Ahmed bin Qudamah. (1981). *Rawdat al-Nazir and Paradise of Views* (Volume 1). (Saif al-Din al-Katib, editor) Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.

Al-Qaisi, Makki bin Abi Talib. (1985). *Explaining the meanings of the readings* (Volume 3). (Abdul Fattah Shalabi, editor) Al-Faisaliah Library.

Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmed. (1965). *Al-Jami` fi Ahkam al-Qur'an* (Volume 2). Arab Book House.

Al-Suyuti, Jalal al-Din. (1985). *Mastery in the sciences of the Qur'an.* (Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, editor) Cairo: Dar Al-Turath.

Al-Taweel, Mr. Rizk. (1985). *Introduction to Reading Sciences* (Volume 1). Mecca: Al-Faisaliah Library.

Al-Zajjaj, Ibrahim bin Al-Sari bin Sahl. (1988). *Meanings of the Qur'an and its parsing* (Volume 1). (Abdul Jalil Abdo Shalabi, editor) Beirut: World of Books Press.

Al-Zarqani, Abdul Azim. (1998). *Manahil Al-Irfan in the Sciences of the Qur'an*. (Badi Al-Lahham, editor) Dar Qutaiba.

Fadl, Abbas Hassan. (1987). *Quranic readings from a rhetorical point of view*. Journal of University of Jordan Studies, 14.

Ibn Al-Haim, Ahmed bin Muhammad bin Imad Al-Din bin Ali. (2003). *Al-Tibyan fi Tafsir Gharib Al-Qur'an* (Volume 1). Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Ibn Al-Jazari, Muhammad bin Muhammad Al-Amri. (1980). *Upholsterer of the reciters*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Ibn Al-Jazari, Muhammad bin Muhammad Al-Amri. (1991). *The goal of the end in the readers' classes* (Volume 1). Riyadh: C - Bergstrasser.

Ibn Attiya, Abu Muhammad Abd al-Haqq bin Ghalib bin Abd al-Rahman. (2002). *The brief editor in the interpretation of the dear book* (Volume 1). (Abdul Salam Abd al-Shafi Muhammad, editor) Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Ibn Kathir, Imad al-Din Ismail. (1996). *The Virtues of the Qur'an* (Volume 1). Beirut: Dar Al-Andalus.

Ibn Mujahid, Ahmed bin Musa. (1980). *The Seven in Readings* (Volume 2). (Shawki Deif, editor) Egypt: Dar Al-Maaref.

Ibn Qutabiya, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim. (1973). *Interpretation of the Qur'an Problem* (Volume 2). (Sayyed Ahmed Safar, editor) Cairo: Dar Al-Turath.

Mukhtar, Ahmed. (1988). *Linguistic research among the Arabs*. Cairo: World of Books.

Praise be to Ghanem Qaddouri. (2006). *Linguistic phenomena in Qur'anic readings* (Volume 1). Jordan: Dar Amaer for Publishing and Distribution.

Shaheen, Abdel Sabour. (2009). *Qur'anic readings in light of modern linguistics*. Cairo: Al-Khanji Library.

Wolfensohn, Israel. (1959). *History of Semitic languages*. Cairo: Al-Etimad.